

7 - إذا استثنينا الأفلام القصيرة ، نجد أن الخطاب السينمائي يتجلى في المغرب من خلال 25 شريط . انجزت كل هذه الأفلام ابتداء من 1969 ، الشيء الذي يجعل معدل الانتاج السنوي المغربي في ميدان السينما يساوي 2ر5 فيلم . - لا تهمنا هنا ضالة هذا المعدل بقدر ما يهمنا أن نرى ما هي نوعية الخطاب الذي تنطق به الأفلام المغربية منذ عشر سنوات .

8 - ودون أن ندخل في التحليل الدقيق يمكن أن نلاحظ ما يلي : لا يمكن لخطاب ما أن ينطلق من العدم ، كما لا يمكن أن يفرض وجوده دون إقرار خصوصية محددة وهوية راسخة - وتاريخ الاتجاهات والمدارس السينمائية في العالم يبرز بوضوح صيرورة الخطاب السينمائي على أنها تخضع لجدلية التسلسل والتقطيع .

9 - التسلسل هو ما يجعل المدارس والاتجاهات تأخذ بعين الاعتبار واقع الخطاب في المرحلة التاريخية الخاصة التي تظهر فيها تلك المدرسة أو يبرز فيها ذلك الاتجاه - مثلا ، ان الواقعية الجديدة الإيطالية ، عبارة عن متابعة للواقعية الشعرية الفرنسية لكن انطلاقا من رؤيا جديدة حددتها وسائل تقنية جديدة .

10 - أما التقطيع فهي ما يسمح لمدرسة أو اتجاه ما باستقدام مقولات مختلفة عن المقولات المعتادة التي تسود في المرحلة التاريخية الخاصة التي تظهر فيها تلك المدرسة أو يبرز فيها ذلك الاتجاه . - ونجد هنا أن نفس الواقعية الجديدة الإيطالية تشكل رفضا قاطعا لتقنيات الاستوديو وما تتضمنه من تحديد خاص للرواية والسرد والتصور في ميدان الإخراج السينمائي .

11 - من هذه الزاوية ، يتبين لنا أن خطاب الأفلام المغربية لم يتبن إلى حد الآن جدلية التسلسل والتقطيع ، وذلك لأسباب تاريخية لا تهم المغرب فحسب بل نجدها في سائر سينمات العالم الثالث . - ومنطق هذا الخطاب ينطوي أساسا تحت مفهوم صعب التحديد الحقيقي رغم أنه سهل الملاحظة الميدانية : مفهوم التبعية .

12 - ان التبعية في الميدان الذي يهمنا هنا هي ذلك النمط من التعبير الذي يعني ذاتية المتكلم ملفيا في نفس الوقت الشروط الضرورية لانتاج أي خطاب له استقلاله الذاتي : مكونات خصوصية ( لا فلكلورية ) ، وبعد كوني ( لا جهوي ) - من هنا مفهوم فشل نموذج شريط الاغاني والرقص ( المصري ) كاعادة ميكانيكية لنموذج الكوميديا الموسيقية الهوليوودية الذي نطق فترة بخطاب مبدع داخل واقعه قبل أن يصير بنفسه اعادة انتاج لنفسه ، ومن هنا كذلك نفهم فشل الكثير من السينمات الوطنية ما بين 1960 و 1970 التي تجتث الرغز دون (1) أن تعرف بوضوح ماذا ترفض بواسطة هذا الرغز ( ايدولوجيات أم تقنيات أم كتابات أم كل هذا ؟ وفي هذه الحالة ماذا يمكن أن يقترح واقفيا ؟ ) ، و (2) دون أن يكون واقع مستهلكها ناضجا لقبول منطق الرغز وبالتالي المساهمة في عملية التقطيع . - بعبارة أخرى ، ان الواقع الاجتماعي بكل ما يتضمنه من تناقضات وميزات خاصة يساهم في تشكيل الخطاب المبدع بقدر لا يقل أهمية عن مساهمة الذات المبدعة - وهذه بديهية لا يصح تجاهلها ولا يمكن تلانيها .

13 - وعندما نقول ان منطق التبعية هو الذي يهيمن على الخطاب السينمائي المغربي ، نقصد بذلك شيئين متميزين - بغض النظر عن أن الأفلام المغربية لا تبرمج كيفما كان الحال في القاعات المغربية ، وهذا ناتج عن تبعية أساسية ليست مسجلة في كتابة الفيلم بقدر ما هي مسجلة في نوعية خاصة من الذكاء أو البلاغة ( حسب الزاوية ) التي يتميز بها المواطن الموزع والمواطن المستنقل للقاعات .

## ● الدائرة النارية / مومن المسيحي

مقالة عن أحد مغتربي السينما : الحسن ابن الهيثم ، في شبه نص فيلمي - وثائقي .

1) اختراع السينما : آلة التصوير ، جهاز العرض ، شريط التصوير .

نتج عن تطور الكلام العلمي أو شبه العلمي عبر الزمان والمكان . ذلك التطور الذي انطلق في أوائل عهد النهضة الأوروبية ( القرن الرابع عشر ) .

(2) نعني بالكلام العلمي أو شبه العلمي لا فقط كل ما يكتب ويدون عبر العصور والمجتمعات من معلومات واستنتاجات واقتراحات علمية بل كل ما من شأنه أن ينمي ويطور المعرفة الإنسانية ، من مبرهنات وأبحاث ، واختراعات عنوية هامشية ، محاولات واخفاقات الخ ... ( كل هذه النشاطات والممارسات يمكن أن يطلق عليها اسم النص أو الخطاب أو الكلام أو القطعة العلمية ) .

(3) اختراع السينما نتيجة نص علمي قديم قدم الحضارة الإنسانية . بصورة الأفلاطون الفلسفية عن الكهف تخطى العلامات الأولى التي ستحدد فيما بعد السينما = الصورة الأفلاطونية تحتوي على الكهف أي مكان مقبول ضليل حيث لا يرى فيه إلا خيال الأشياء الواقعية ، فالخيال في مكان وفي مرتبة الواقع . بطليموس في القرن الثاني الميلادي سيتكلم ( وسيفسر ) عن حقيقة بصرية أولية وهي توهم الحركة ، لكن يجب انتظار عهد النهضة الغربي لكي تتبين العلامات الواضحة الأولى التي تعان عن الاختراع .

(4) عهد النهضة الغربي ينطلق من حركة تشكيلية إيطالية أطلق عليها اسم كواتروتسنتو (Quattrocento) وهي المنظور الاصطناعي . حركة ادخلت في التشكيل أهمية نظرية المنظور الاصطناعي (Persistance retinienne) ( « المسافة بين خطين متوازيين تبدو وكأنها تزداد شيئا على البعد حتى يبدو الخطان في النهاية وكأنهما يلتقيان في النقطة الأفقية التي يغطيان فيها عن الاختار » ) : هذا المنظور عندما يظهر في لوحات ليوناردو فانسي مثلا فإنه ينوه بما سيسمى فيما بعد بالحجرة المظلمة ( OSURA ، التي لن ترى الوجود إلا في القرن 17 م . حيث أتى اختراعها والكلام عنها تطور علم البصريات الهندسية ( مفهوم الحجرة المظلمة : صندوق مطلق به ثقب تتعكس خلاله أشعة من أصل ضوئي ، تمر عبر الأجسام فتظهر هذه الأجسام منعكبة رأسا على عقب ) .

(5) يتركز الاختراع الكبير على مبدئين أساسيين : كل منهما ينتج عن محاولات متعددة ، وتطبيقات مختلفة وأحيانا متناقضة عبر العصور والمجتمعات . هذان المبدئان هما :

(أ) الحجرة المظلمة التي تهدف إلى محاكاة الواقع باننتاج صورة عنه تكون في مشابهة كاملة . وآخر خطوة في تطور نظرية الحجرة المظلمة ستكون هي : اختراع الصورة الفنترافية . نلاحظ هنا أن أول صورة لمخترع الآلة الفنترافية ، وهو ( نيسفور نيببس ) ، تمثل تطورا للسطوح التي يراها المصور المخترع من نافذة بيته . كما يجب أن نلاحظ في طيات هذا الاختراع علامات علم الكيمياء والبصريات

(ب) أما المبدأ الثاني فهو ما يسمى ببقا الرؤية (Perspectiva Artificiales) تلك النظرية التي هي حقيقة بصرية دقيقة والتي سيطبقها بوسيلة آلة تقنية الأخوان لومبير الفرنسيين (Lumière) ، والمخترع الأمريكي ادسون ( Edison ) ( أن حرب حقوق الاختراع بين الدول الرأسمالية لم تعد بعد الأسبقية بصفة نهائية . كما لو كانت هناك أسبقية في ميدان الكلام ) . بقا الرؤية هو بقا الاحساسات الضوئية راسخة بالعين بعد الغماض الجفنين ، الأمر الذي يجعل الحركة مقترنة بالصورة .

(6) هكذا نشأ الاختراع كنتيجة لمختلف الأبحاث والممارسات التي تتجلى كلها فيما سميناه بالنص العلمي . أن أي اكتشاف لا ينتج إلا عن نص علمي يتكون شيئا فشيئا ، ينمو وينتسب حتى يحتوي مبدئين مختلفة تنميه ونضجه إلى الإمام . فكرة تشعب النص العلمي هذه طبعها كاتب كيميائيل موكو في كتابه « تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي » ويكون النص في نفس الوقت ينتمي إلى مجتمع معين وتاريخ محدد وإلى العلم الجامع لهذا المجتمع . فلاختراع الكبير هو نتيجة النهضة الغربية ، نتيجة نظرياتها الفلسفية والاقتصادية ونتيجة تطور مجتمعا . فمن جهة يندقق الاختراع عن نظريات الشخص في مفهوم ديكارته وغاليلي مثلا ، ومن جهة أخرى يواكب تطوره نظور وتكوين المجتمع الرأسمالي الغربي . فهكذا ينطوي الاختراع على نظريتين أساسيتين فيما يخص المجتمع الغربي = نظرية العين ، ونظرية المقربو . ( « الإنا ذلك العين » = يقول جان لكان ) نظرية المنتج البضاعي والاستهلاك المقترنة بالها - فوق القيمة والربح الرأسمالي ( آلة تكهون صنعها لتتم عليه بالربح ) .

(7) من المسلم به الآن أن فكرة الأسبقية في الحقل المقولي ما هي إلا تطبيق لفكرة التنافسية

الراشدية لان العلم نتاج ( وليس منتوجا بضائعا اسنولاكيا ) متطور لا نهائي يحتوي على  
خطابات مختلفة متشعبة ، تفتح بعضها عن بعض فتكون سلسلة التواتية حلزونية لا متناهية .  
فبرنامج المحاضرة التي القيت بلندن سنة 1881 تحتوي على العلامات الاولى التي ستؤدي الى  
الاختراع . مواضيع هذا البرنامج :

- انتشار الضوء / الامواج الضوئية .
- المرايا المحدوبة و / المقعرة / انكسار الضوء المنحرف .
- الطيف الضوئي / انكسار الضوء المنحرف .
- اقراص نيوتون / التشابكات الطبيعية .
- الكوتروب / اشعاع الالقي ، والريش والبلونات الصابونية .
- البقاء الضوئي على الشبكة / الفوتودروم .
- كورنتسكوب ( بايل )

8) كان هذا في عام 1881 . نجد آثار هذا الكلام وهذه المواضيع قبل ثمانية قرون وفي  
فضاء علمي غير غربي ، وبصفة اذن في المجال العلمي العربي . في الوقت نفسه الذي كان فيه  
الاولاؤون يتحدثون عن صورة الكهف ، كانت مصر الفرعونية على علم بالحجرة المظلمة . وفي نفس  
المنطقة سينتج الخطاب العلمي العربي في القرن العاشر الميلادي كل العلامات وكل الخطوات  
النظرية وحتى التطبيقية التي تسفر عن اختراع الآلة السينمائية . يفتقر هذا الخطاب اساسا  
باسم الحسن ابن الهيثم .

9) الحسن ابن الهيثم : انه علامة صيغة المبالغة ( زيادة على انها مؤنثة ... ) تشير الى  
ما يحدد تاريخيا محفري العلم في الحضارة العربية الاسلامية : كل عالم يكون بمثابة الموسوعي -  
فاين الهيثم هو في نفس الوقت عالم فلكي ، رياضياتي ، شاعر ، نحوي ، طبيعي ، ويصير .  
اختصاصه بعد ذلك : علم البصريات قال عنه المؤرخ الانجليزي سارتون : « انه من اكبر دارسي  
البصريات في كل زمان ومكان » .

خطاب العلامة هذا ينتمي هو الآخر الى مجتمع والى تاريخ معينين . الخطاب العربي -  
الاسلامي العلمي خطاب جامع ، يلم في نفس الوقت بميادين مختلفة . وراينا ان الاختراع هو على  
كل حال نتيجة تشعب علمي . لن نندعش اذن لرؤية ابن الهيثم الذي اهتم في آن واحد بطم  
الفلك ( خط الطول الدرجة 19 ) . وبالبحريات ( وصفه الدقيق للعين ) كما تجدر الإشارة الى  
( الجو ) العلمي الذي عاصره ابن الهيثم : هناك ابن سينا الطبيب والفلكي الرياضي الذي دون  
( القانون في الطب ) . ثم اكتشاف البيروني ( وهو رياضي وفلكي ) : ان سرعة الضوء اكثر  
من سرعة الصوت . ثم ابن يونس الرياضي القاهري . ثم عمار بالقاهرة كذلك الذي دون ( كتاب  
امراض العين ) .

10) وكعلم بصريات حلل ابن الهيثم العين واهتم بمشكل الرؤية . ويؤكد سرتون ان  
عمل ابن الهيثم تطبيقي ، كما ان احدى نظريات ابن الهيثم هي بمثابة انقلاب وقطعية علمية تشابه  
في ذلك القطيعة الكورنيكية فيما يخص دوران الارض ككوكب من بين الكواكب الاخرى . واين  
الهيثم هو اول من اكد ان اشعاع الاجسام بواسطة اشعة الضوء تنعكس من هذه الاجسام وترتد  
الى العين وليس العكس ( أي العين هي التي تنعش على الاجسام ) كما كان يقول بذلك اقليدس  
او الكندي . كل الاكتشافات والاقتراحات التي اتى بها علامتنا دونها في كتابه الاساسي ( كتاب  
المناظر ) ( في أي مكتبة يا ترى يوجد مخطوطه ؟ ) . والكتاب يحتوي على ما يسميه الغرب  
بنظرية ابن الهيثم والتي طبقها بيكون وكبلير .

11) وبالمقارنة مع مواضيع المحاضرة اللندنية ( 1881 ) ، نعرض هنا بعض المواضيع  
التي تطرق اليها ابن الهيثم في أبحاثه ( كان يقدمها على شكل مقالات :

- تفسير الرؤية المزدوجة .
- المرايا : محدوبة ومقعرة .
- مقالة في ضوء القمر .
- مقالة في المرايا المحرقة بالدوائر .
- مقالة في المرايا المحرقة بالقطع .

## مقالة في كفيات الاظلال في الضوء . في صورة الكسوف .

في كتاب ( في صورة الكسوف ) ( لنشر الى عبارة الصورة ) تحدث ابن الهيثم عن تطبيق العجزة المظلمة ، واستعمالها في مراية الكسوف الشمسي . اذن ابن الهيثم يعلم تطبيقيا بوجود العجزة المظلمة ، كما انه توصل الى انتاج صورة خيالية وهي انعكاس صورة الكسوف . هذا عطا ابن الهيثم كفاكي . غير ان هناك ابن الهيثم العالم الطبيعي وعالم البصريات . بعد اهتمامه بمشاكل العين والرؤية ، كان من الطبيعي ان يشير الى وينتحدث عن مبدأ بقاء الرؤية ، وهنا ايضا بصفة تطبيقية . هذا هو ما سميناه بالدائرة النارية وهي تجربة علمية ، قام بها ابن الهيثم ويمكن تجديدها .

: لتأخذ عمودا يشتمل نارا ولتجمعه يدور دوراننا سريعا امام عين مبصرة ، اذ ذلك تشهد العين دائرة منتظمة متتامة . عند انقراض الجفنين ، يستمر الاحساس بالدائرة الضوئية منطويا في شبكة العين . هذه الحقيقة البصرية تشكل المبدأ الاساسي الثاني لاختراع السينما : فالعين تستغرق جزءا من ثمانية في تسجيل انطباع الخيال ونقله الى المخ . وبعد ان تتلقى العين الانطباع تحتفظ به مدة تتراوح بين جزء على عشرين (20/1) وجزء على عشرة (10/1) من ثانية ، بعد ان يكون الخيال نفسه قد اختلف ، ووفقا لهذا تقوم آلة العرض السينمائي بسحب الفيلم بين الضوء والعصبة في حركة ( توقف وانطلاق ) بحيث يتوقف عرض الفيلم بعد كل اطار فترة تكفي لكي تتلقى العين الصورة ، حتى اذا ما احتفظت العين بالخيال قامت آلة العرض بتقديم الاطار الموالي الي ان تعطي حركة التوقف والانطلاق هذه وهم صورة مستمرة ( متحركة . ملاحظة وتطبيق بقاء الرؤية اول من اهتم به فيها يخص السينما هو ماري ( Marcy ) وقد سمي اختراعه : كرونوفونوغراف ) .

12) نرى ان المبدعين الاساسيين الذين يؤيدان الى اختراع آلة السينما وهما : 1) تسجيل العالم الواقعي بوسيلة العجزة المظلمة . 2) انتاج الحركة وتوهم استمرارها عن طريق بقاء الرؤية ، موجودان في كتاب ابن الهيثم . غير ان السينما كآلة كاملة جاهزة لم تر الوجود الا سنة 1895 ( تاريخ تسجيل حق اختراع « السينماتوغراف » ( Cinématographe ) من طرف الاخوين لوميير ( Lumière ) وليس في عام 1000 العصر الذي عاش فيه ابن الهيثم بالقاهرة . السينما توغراف كما قلنا هو نتيجة وعطاء الفكر العلمي التكنولوجي الخاص بالقرن التاسع عشر الغربي . واما خطاب ابن الهيثم فهو خطاب علمي تطبيقي وهماي يكون حلقة من حلقات سلسلة النص العلمي العزوائية اللامتناهية لما احتوى عليه من تطبيق للعجزة المظلمة ومن تجربة لبقاء الرؤية .

13) فكان على باقي الحلقات ...

طبعة - باريس 1973 .

\* بنفس العنوان ، نشرت مجلة Intégral « تطبيع تقني نيلمي »

## ● مفامرة فيلم / رندة الشهاب

هذه الشهادة كتبها رندا الشهاب ، المخرجة اللبنانية الشابة ، حول فيلمها الاول « خطوة ... خطوة » الذي عرض في مهرجان ( كان ) الاخير وفي بيروت . انها شهادة التحدي والاصرار على المواجهة وتحمل المسؤولية في مرحلة صعبة ، هي مرحلة الحرب ، ورغم كل المثبطات والمعوقات العملية التي واجهتها .

- هل انت راضية عن فيلمك « خطوة ... خطوة » ؟  
- مقتنعة .. لكنني غير راضية ؟